الأمية ومحو الأمية ... رؤية خاصة

أ. د سُميّة عيد الزعبوط

الخميس 11/ 9/ 2025

https://talsci.com

الأمية ومحو الأمية ... رؤية خاصة

مقدمة

الأمية، ومحو الأمية. الجهل، والعلم. الخطأ، والصح. الذنب، والتوبة. السلبية، والإيجابية، هذه مصطلحات تعود الإنسان سماعها، والتعامل معها بطريقة، أو بأخرى، وبالنظر إليها مع التفكر والتدبر، يتبين أن الأمية تقع في دائرة الجهل، ويشوبها الخطأ، وقد يرتدي الخطأ ثوب الذنب؛ ما يُؤدي إلى سلوكات سلبية .

وفي سياقٍ متصل، فإن العالم يحتفل في اليوم الثامن من سبتمبر من كل عام بمحو الأمية، هذا اليوم الذي أعلنته منظمة الأمم المتحدة عام (1966)، وقبلها قامت منظمة «اليونسكو» بجهود مثل ذلك عام (1946م)، وقد اعتمدت المنظمة الإحصاءات الرسمية القادمة إليها من الدول التي تُعاني من الأمية، فاجتهدت في صياغة معتقداتها، وتصوراتها بمقولة إن محو الأمية عاملٌ أساسيٌ؛ لتحقيق التنمية المستدامة، إذ يُسهم في تعزيز المشاركة في سوق العمل، وتحسين الأحوال الصحية، والنفسية للأطفال والأسر، والحد من الفقر، وتوفير مزيد من فرص الحياة. ولم يتضح أثرها حتى الآن.

إلاّ أن الواقعَ المعيش يُشيرُ إلى (750) مليون نسمة على الأقل من الشباب، والكبار يعجزون عن القراءة، والكتابة، ويُؤكد فشل (250) مليون طفل في اكتساب مهارات القراءة ،والكتابة الأساسية، مع استبعاد ذوي المستوى العلمي المتدني، وذوي المهارات المحدودة من المشاركة، والتعلم، واكتساب الرزق وتوفير حياة كريمة.

بناءً على ذلك، يُمكن القول أن عدد من لا يجيدون القراءة، والكتابة أكبر من تلك الإحصاءات الرسمية بكثير، والمتابع لمستوى اللغة عبر تطبيقات التواصل الاجتماعي، سيدرك أن شريحة كبيرة ممن لديهم شهادات هم أميون.

ففي كلام العرب، الأمي هو الذي لا يَقرأ ولا يَكتب، والقراءة والكتابة إنما هي وسيلةٌ مُعينةٌ على اكتساب العلوم، وجاءت الأمية بوصفها سمة لتظهر الكمال الذاتي لسيدنا محمد صلى الله علية وسلّم ، ولتكون الأميةُ في حقه صلى الله عليه وآله وسلم آيةً على ما حصل له مِن علمٍ إلهي، وفيض رباني، فالأميّة من جملة معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنَّه لو كان ممن يَكتب ويَقرأ لصار مُتَّهَمًا بأنه ربما طالَعَ كُتُبَ الأَوَّلين فَحَصَّلَ هذه العلوم بتلك المطالعة، لكنه صلى الله عليه وآله وسلم لَمَّا جاء بهذا القرآن العظيم المشتمل على علوم الأَوَّلين، والآخِرين مِن غير قراءةٍ ولا مطالعةٍ كان ذلك مِن جُمْلَةِ معجزاته الباهرة.

يُمكن القول أن المراد بالأميين هم العرب لقوله تعالى: في سورة البقرة ، آية (129) ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ وقوله تعالى عن أهل الكتاب في سورة الأعراف ، آية رقم (157) : ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ**... ﴾ ، وقد تبين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ، ﴿ **وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُون** ﴾.

إن أمية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التي تتضمن أنه لا يقرأ، ولا يكتب ليست عيبًا، وقصورًا كي نتلمس لها مخرجًا، وعلاجًا، إذ خص الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بها؛ ليمكنه من الإعجاز العلمي والعقلي الذي أيده الله به، فجعل الأمية وصفًا ذاتيا له، ليتم بها وصفه الذاتي، وهو الرسالة، وليظهر أن كماله النفساني كمال لدني إلهي، لا واسطة فيه للأسباب المتعارفة للكمالات، وبذلك كانت الأميةُ وصف كمال فيه، مع أنها في غيره وصف نقصان، لأنه لما حصل له من المعرفة وسداد العقل ما لا يحتمل الخطأ، وكان على يقين من علمه، وبينة من أمره، صارت أميته آية من آيات الله. (علام، 2023)

وقيل أن أميّة رسول الله نسبة لأم القرى "مكة المكرمة"، والأمية هنا تختصُّ بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولا تتضمن معنى اللا كتابة، وقيل هو منسوب إلى الأمة، ويُشير المضمون هنا إلى غياب الكتابة، لأن الأمة بجملتها غير كاتبة ، وليس بمجملها إلى أن يحدث فيها الكتابة . (قصبي، 2024)

بناءً على ما تقدم، يُمكن الاستدلال بالاستنباط : أن الأمية التقليدية التي تُشير إلى العجز الكتابي والقرائي لدى كثيرين، لا يعني ذلك غياب العقل، والذهن، والفكر ، فالرسول الكريم لم يعلم القراءة، والكتابة ، وإنما كان يعلم ما آتاه الله تعالى من الكتاب، والحكمة، والأمور العقلية ، وبذلك اكتملت النفوس، وتهذبت، فمحت الجهل، والضلالة، والأمية.

ولتعرّف ماهية الأميّة المعاصرة يُمكن استنباط أنها ظاهرة من الظواهر الاجتماعية الخطيرة التي تتمثل بالعجز عن القراءة، والكتابة بأي لغة من اللغات، وهي منتشرة في كثيرٍ من المجتمعات الإنسانية خاصة المجتمعات البدائية، والنامية التي تعاني من النقص في التعليم، والإمكانات التعليمية بصفة عامة، والأمية تجعل الإنسان غير قادر على أن يقرأ الكلمات، أو أن يكتبها، فيصبح عاجزًا عن ممارسة مهارات كثيرة تمسّ مجالات حياته، خاصة أنّ الوقت الحالي يشهد تطورًا سريعًا في جميع المجالات التي تحتاج إلى مهارة الإنسان في القراءة، والكتابة، والمقدرة على فهم التعليمات التي تكون مكتوبة عادةً؛ لذا فإنّ الأمية من العوائق التي تحول دون التقدم، والتطور. (طقاطقة، 2018)

بناءً على ذلك، تشهد الأمية حربًا عليها، لأنّ تطور المجتمع مرهونٌ بتخلصه من هذه الظاهرة التي تقف عائقًا في وجه التحصيل العلمي، والثقافي، كما أنها تمنع من اطّلاع الأمي على المعارف الموجودة ، وتمنعه من تدوين الكلام الذي يرغب قوله، وفي الوقت ذاته تمنع الأمية من الاستيعاب، والتفكر، والتدبر، ومن تحصيل الشهادات العلمية، أو الوصول إلى المراتب العليا، وهذا تبعًا لمعتقدات المهتمين، والمعنيين، وتصوراتهم.

أشكال الأمية: يُمكن تعرف أشكال الأمية على النحو الآتي:(Park, 2008)

- ❖ الأمية الهجائية: تتمثل في عجز الإنسان عن معرفة الحروف الهجائية في اللغة.
- ❖ الأميّة الوظيفية: تتمثل في عجز الموظف عن فهم الأساسيات التي تتعلق بوظيفته؛ ما يجعله عاجزًا عن القيام بها على الوجه الأمثل.
- ❖ الأميّة المعلوماتية: هي التي تُعيق الاطلاع على المعلومات المتنوعة التي يحتاجها الإنسان في حياته اليومية.
- ❖ الأمية الثقافية: هي التي تُشير إلى قلة المخزون الثقافي في الذهن البشري، فلا يستطيع أن يكون واعيًا، أو مثقفًا.
- ❖ الأمية البيئية: وتتمثل بجهل الإنسان بعناصر البيئة، وكيفية المحافظة عليها، والاستفادة منها، واستغلالها .
- ❖ الأُميّة العلمية: وتتمثل في ضعف المقدرة ، والاستطاعة في الحصول على المستوى التعليميّ المطلوب، والشهادات العلمية المختلفة، التي تُسهم في وجود الإنسان المتعلّم.
- ❖ الأُميّة المهنية: وهي غياب المعرفة بالمهن التي ينبغي للإنسان القيام بها؛ بحيث تتناسب ومقدرته، وإمكاناته المتاحة.

- ❖ الأمية التعليمية: وتتمثل في القصور الذي ينجم عن المنظومة التعليمية في عناصرها كافة .
- ❖ الأمية الفكرية: وتشمل الفكر الذي يتجنب إعمال العقل في الخلق، والإبداع ، والابتكار.
- ❖ الأمية التربوية: هي، الجهل الخفي الملصق بالإنسان منذ طفولته، وتظهر جلية في سلوكاته سواء أكان ذلك في تعامله مع ذاته، أم مع الآخر، وتتمثل بالتلوث الذي يشوب مجالات الحياة كافة، ويُمكنني أن أسميها بالتلوث الفكري، فقد توجد هذه الأمية لدى المعلم، والمتعلم، والمثقف، والموظف، والمدير، والقيادي، وما إلى ذلك
- ❖ الأمية الزواجية (الأسرية): وتُشير إلى الجهل في ممارسة الحقوق، والواجبات، والتعامل بها، وهذا الجهل هو الذي يُؤثر سلبًا في العلاقة الزواجية، أو العلاقة الوالدية، أو العلاقة الأخوية، والأسرية.

الخاتمة

يُمكن القول أن الأمية في الدول العربية موجودة ، لا يُمكن إخفاء وجودها، فمن الأمية التربوية أن لا نتحرى الدقة في إحصائها، ومن الأمية الأخلاقية أن لا ندرك أشكالها، وأن نتجنب تعرف أماكن وجودها، وانتشارها؛ إذ يُسهم ذلك في توقف حركة العلم، والعمل، والفكر، وبذلك تشيخُ أعمارُنا الأيضيّة ، والزمنية أيضًا.

وهذا ما يُشير إليه واقعُنا المعيش، هذا الواقع الذي يزخر بأفكار صنعت خارج نطاق الذهن العربي ، وانتقلت إلى الإنسان العربي للتدريب، والتنفيذ، والتطبيق، مستبشرًا بما أُعد له دون إعمالٍ للعقل العربي، فأصبح الاستهلاك من شيم العربي، وصناعة الأفكار من شيم الغربي.

فالأمية التقليدية التي تدعم معنى غياب المقدرة على القراءة، والكتابة هي أمية وجدت لدى العرب، هذه حقيقة، وفي ذلك قول رسولنا صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم والبخاري" إنا أمة أميّة لا نقرأ ، ولا نكتب، ولا نحسب" هذه حقيقة لكنها ليست حقيقة مطلقة ؛ لأن هذا حكم على المجموع لا على الجميع، فقد كان هناك من يكتب مثل: كتبة الوحي عمر، وعلي ، وغيرهم.

ولم تكن هذه الأمية سببًا في تراجع تقدمهم، وتنامي تطورهم، فالقراءة غائبة، والكتابة غائبة، لكن الذهن حاضر، والعقل حيّ يُرزق، فلنتدبر الأمر، ونفكر، ونسعى، ونجتهد في صياغة الخطط ، وصناعة الأفكار، فالقراءة السليمة بحاجة إلى كيف نقرأ، وماذا نقرأ، لا إلى كم نقرأ، والكتابة السليمة بحاجة إلى كيف نكتب، وماذا نكتب، لا إلى كم نكتب، والخلايا الذهنية بحاجة إلى صحوة الحوار الثقافي لبذل الجهد في الاستدلال، والاستقراء، والاستنباط ، والتمييز، والعقل البشري بحاجة إلى إعماله في استشراف المستقبل غير المألوف وإخضاعه للتجربة ليصبح مألوفًا من مسافة صفر.

وجملة القول تتلخص فيما أورده الأمين العام السابق للأمم المتحدة (كوفي عنان): إذ قال: "*يُشكلُ محو الأمية جسرًا بين البؤس والأمل، وهو أداة للحياة اليومية في المجتمع الحديث، وهو حصن ضد الفقر، وحجرُ أساس للتنمية، ومكملٌ أساسي للاستثمارات في الطرق، والسدود، والعيادات، والمصانع، ومحو الأمية منصة للديمقراطية، ووسيلةٌ لتعزيز الهوية الثقافية والوطنية، وهو يشكل، بالنسبة للمرأة عاملاً في تعزيز صحة الأسرة وتغذيتها، فإن محوَ الأمية، إلى جانب التعليم بشكل عام، حقٌ أساسيٌ للإنسان*". (اليونسكو، 2011)

ومن هذا المنطلق، يُمكن صياغة توصية واحدة على النحو الآتي:

- ❖ أن يسعى كل من القطاع العام ، والقطاع الخاص، والهيئات المدنية بإنشاء مجمّع يشمل الآتي:

أ. قسم التخطيط، وصياغة الأفكار، والبرامج، والأنشطة الهادفة، والمشاريع.

ب. قسم لتعليم الكتابة، والرسم، وصياغة الخرائط الذهنية.

ج. قسم لتعليم كيفية القراءة ، وكيفية إجراء الحوار البناء، والمناظرات الهادفة.

د. قسم لتعليم التفكير، وأنماطة المختلفة، والتدريب على كيفية التفكير .

هـ. قسم الورش التدريبية التربوية التثقيفية التوعوية تُسهم في محو أشكال الأمية كافة، بحيث يتم توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي ، ومستجدات العصر التقني ، في الأقسام كافة.

و. قسم للتسويق، والإعلام العلمي، والتأليف، والنشر، والتوزيع.

قائمة المراجع

طقاطقة، شيرين. (2018). محو الأمية. https://mawdoo3.com/%

علام، شوقي إبراهيم . (31 10, 2023). *معنى الأمية في حق النبي صلى الله عليه وسلم*. تم الاسترداد من موقع الفتوى الإلكتروني: https://www.dar-alifta.org/ar/fatawa

هاجر قصبي. (23 9, 2024). *الأمية*. تم الاسترداد من موقع إقرأ: %/https://iq9rae.com

اليونسكو. (2011). *استعراض التجارب الدولية وأفضل الممارسات في مجال*. موريتانيا: معهد اليونسكو للتعلم مدى الحياة.

Park, H. (2008). Home literacy environments and children's reading performance: a comparative study of 25 countries. *Educational Research and Evaluation*, 489 - 505.